*الحكمة من وجود المتشابه في القرآن*

*بحث فى دفاع عن القراَن*

*إعداد أ/ ميريهان مجدي محمود*

*قسم التفسير وعلوم القراَن*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*mirihan@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في الحكمة من وجود المتشابه في القرآن**

**الكلمات المفتاحية : القرآن ، كتاب الله ، العلماء**

1. **المقدمة**

 **الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن الحكمة من وجود المتشابه في القرآن**

1. **عنوان المقال**

**بعد بيان مواقف السلف تجاه من يُثيرون الشُّبهات والطعون حول كتاب الله ، نجد أنفسنا نقف مع سؤال قد يطرأ في أذهان البعض، قد يسأل البعض ما هي الحكمة من وجود المتشابه في القرآن، وإذا كان القرآن قد أُنزل بيانًا للناس، وحاكمًا للناس، وشرعًا للناس، ومعلمًا للناس، وهداية للناس، ورحمة للناس، فهل يُقبل من الكتاب الذي هذا حاله أن يشتمل على المتشابه؟**

**وللإجابة على هذا السؤال نقف مع العنوان التالي الذي نتكلَّم فيه عن الحكمة من وجود المتشابه في القرآن.**

**الحكمة من وجود المتشابه في القرآن قد بيَّنها العلماء -رحمهم الله- في مصنفاتهم، والباعث على الكلام على هذه الجزئية هو الجواب على من يقول: إن القرآن إنما أُنزل للهدى والبيان، فكيف اشتمل على المتشابه؟ وقد تكلم العلماء في الجواب على هذه الشُّبهة، وخاضوا في حكمة إنزال المتشابه، وذكروا أمورًا بعضها قوي وبعضها لا يخلو من مقال، وبعضها يتعجَّب الناظر فيه كيف أمكن أن يُقال، وبعضها لا يستحق الذكر.**

**أما أمثل هذه الأقوال وأقواها فيما قاله العلماء فهو أن الحكمة من إنزال المتشابه تتجلى في أمور.**

**الأمر الأول: أن الله  أنزله مختبرًا به عباده، فأما المؤمن فلا يُداخله فيه شكٌّ، ولا يعتريه ريب، وهو بين أمرين؛ إما قادر على ردِّه إلى المُحكَم، وإما قائل آمنَّا به كل من عند ربنا، وذلك إن لم يتبين له معناه، فأمره كله خير، وتعظم بذلك مثوبته، وتزيد عند الله درجته. وأما المنافق فيرتاب ولا يزيده القرآن إلا خسارًا، وأما من كان في قلبه زيغٌ كأهل البدع، فيتبعون المتشابه؛ ليفتنوا الناس عن القرآن وصحيح السنة، ويُنزلوه على مقتضى بدعتهم.**

**وسياق الآية وما بعدها دالّ على أن هذا من حكمة إنزال المتشابه قال تعالى:** {ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ} **[آل عمران: 7، 8] فالمؤمنون رغبوا إلى الله  وطلبوا منه ألا يزيغ قلوبهم كما زاغت قلوب أهل الزيغ؛ إذ إن المتشابه فتنة للعقول والقلوب، وسألوا الله  أن يُنزِّل عليهم رحمة يربط بها على قلوبهم وعقولهم، فلا تزيغ، وفي هذا إشارة إلى أن أهل الزيغ والبدعة محرومون من بركة هذا الدعاء، كلٌّ بحسب بدعته وبُعده عن السنة.**

**وقد ذكر الله في القرآن أنه يُنزِّل ما يمتحن به عباده ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، ويضلَّ غيرهم من أهل الضلال قال تعالى:** {ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ} **[البقرة: 26].**

**قال العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره: يقول تعالى:** {ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ}**يقول: لاشتمال الأمثال على الحكمة وإيضاح الحق، فالله  لا يستحيي من الحق.**

{ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ} **فيفهمونها ويتفكرون فيها، فإن علموا ما اشتملت عليه على وجه التفصيل ازداد بذلك علمهم وإيمانهم، وإلا علموا أنها الحق وما اشتملت عليه حق، وإن خفي عليهم وجه الحق فيها، وذلك لعلمهم بأن الله لم يضربها عبثًا، بل لحكمة بالغة، ونعمة سابغة.**

{ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ} **فيعترضون، ويتحيرون، فيزدادون كفرًا إلى كفرهم، كما ازداد المؤمنون إيمانًا إلى إيمانهم، ولهذا قال:** {ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ} **[البقرة: 26]، فهذه حال المؤمنين والكافرين عند نزول الآيات القرآنية قال تعالى:** {ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ} **[التوبة: 124، 125]، فلا أعظم من نزول الآيات القرآنية، ومع هذا تكون هذه الآيات لقوم محنة، وحيرة، وضلالة، وزيادة شرٍّ إلى شرهم؛ وتكون لقوم منحة، ورحمة، وزيادة خير إلى خيرهم.**

**ومن هذا القبيل قوله :** {ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ} **[الحج: 52-54].**

**قال الإمام ابن القيم -رحمه الله: "والمقصود أن قوله تعالى:** {ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ} **[الحج: 53] اللام هي لام التعليل على بابها في قوله** {ﯵ}، **وهذا الاختبار والامتحان مظهر لما في القلوب الثلاثة، فالقاسية والمريضة ظهر خبؤها من الشك والكفر، والقلوب المخبتة ظهر خبؤها من الإيمان والهدى، وزيادة محبته، وزيادة بغض الكفر، والشرك، والنفرة عنه، وهذا من أعظم حكم هذا الإلقاء".**

**ومن هذا القبيل أيضًا قوله تعالى:** {ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ} **[الإسراء: 60] قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- بعدما ذكر تفسير ابن عباس { أن الرؤيا هي ليلة الإسراء، والشجرة هي شجرة الزقوم، وهكذا فسَّر ذلك بليلة الإسراء مجاهد، وسعيد بن جبير، والحسن، ومسروق، وإبراهيم، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد، وغير واحد، وتقدم أن ناسًا رجعوا عن دينهم بعدما كانوا على الحق؛ لأنه لم تحتمل عقولهم وقلوبهم ذلك فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، وجعل الله ذلك ثباتًا ويقينًا لآخرين، ولهذا قال:** {ﭶ ﭷ} **[المدثر: 31] أي: اختبارًا وامتحانًا.**

**أما الشجرة الملعونة فهي شجرة الزقوم، كما أخبرهم رسول الله  أنه رأى الجنة والنار، ورأى شجرة الزقوم، فكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل -لعنه الله: "هاتوا تمرًا وزُبدًا، فجعل يأكل هذا بهذا، ويقول: تزقَّموا، فلا نعلم الزقوم غير هذا". فهذا كله يدل على أن الله يختبر عباده بما شاء، وإنزاله المتشابه من هذا، فإنه فتنة، وقد ضلَّ به كثير ممن ضلَّ عن الحق، كما رفع الله به أهل الإيمان بيقينهم ورسوخهم درجات من عنده.**

**الحكمة الثانية من حكم إنزال المتشابه في القرآن: أن في إنزال المتشابه إظهارًا لفضل العلماء وتفاضلهم فيما بينهم، وفيه أيضًا تعريضهم لمزيد من المشقَّة والصعوبة في معرفة الحق منها، فيعظم أجرهم، ويرتفع عند الله شأنهم، وأيضًا، فإنه يدعوهم لتحصيل علوم كثيرة نِيط بها استنباط ما أريد بالمتشابه من الأحكام الحقَّة، فتتَّسع بذلك علومهم، وأيضًا فإنه يُدرِّب العلماء على استنباط المعاني الدقيقة فتقوى بذلك بصائرهم، ولو أُنزل القرآن كُلُّه محكمًا؛ لاستوى في معرفته العالم والجاهل، ولم يكن في استنباط ما فيه مشقة توجب عظيم المثوبة.**

**قال الإمام فخر الدين الرازي: "من الملحدة من طعن في القرآن لأجل اشتماله على المتشابهات، وقال: إنكم تقولون إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة، ثم إنا نراه بحيث يتمسَّك به صاحب كل مذهب على مذهبه، فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذي هو المرجع، أن يجعله هكذا، والجواب كما قال الفخر الرازي: إن العلماء ذكروا لوقوع المتشابه فيه فوائد منها: أنه يوجب المشقَّة في الوصول إلى المراد، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب.**

**الحكمة الثالثة من حكم وجود المتشابه في القرآن: أنه لو كان القرآن كله محكمًا لما كان مطابقًا إلا لمذهب واحد، وكان بصريحه مبطلًا لكل ما سوى ذلك المذهب، وذلك مما يُنفِّر أرباب سائر المذاهب عن قبوله، وعن النظر فيه، والانتفاع به، فإذا كان القرآن مشتملًا على المحكم والمتشابه؛ طمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يُؤيِّد مذهبه، وينصر مقالته، فينظر فيه جميع أرباب المذاهب، ويجتهد في التأمُّل فيه صاحب كل مذهب، وإذا بالغوا في ذلك صارت المُحكمات مفسرة للمتشابهات، وبهذه الطرق يتخلَّص المبطل من باطله، ويتوصل إلى الحق.**

**الحكمة الرابعة: أن القرآن إذا كان مشتملًا على المتشابه افتقر إلى العلم بطريق التأويلات، وترجيح بعضها على بعض، وافتقر في تعلُّم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة، والنحو، والمعاني، والبيان، وأصول الفقه، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يُحتج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة، فكان في إيراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة.**

**الحكمة الخامسة: أن المشتبهات ليست في الأمور المطلوب من المُكلَّف العمل بها، وإنما هي في بعض الأمور العقدية التي يُطالب فيها المُكلَّف بالتفويض والتسليم لله تعالى، وأن يقول فيها** {ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ} **[آل عمران: 7].**

**كانت هذه هي الحكم والأوجه التي ذكرها العلماء في سبب اشتمال القرآن على المتشابه.**

**المصادر والمراجع**

1. **السيوطي، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الإتقان في علوم القرآن) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م**
2. **الزركشي، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (البرهان في علوم القرآن) ، بيروت، نشر دار المعرفة، 2001م**
3. **الدجوي، يوسف أحمد نصر الدجوي، (الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف) ، القاهرة، مطبعة القاهرة، 1969م**
4. **الجزيري، محمد شوقي عبد الرحمن الجزيري، (أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين) ،دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1416هـ**
5. **أبي داود، ابن أبي داود، تحقيق: محب الدين واعظ، (المصاحف) ، دار البشائر الإسلامية، 2002م**
6. **الباقلاني، القاضي أبي بكر محمد الباقلاني، (نكت الانتصار لنقل القرآن) ، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1971م**
7. **الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، (مناهل العرفان في علوم القرآن) ، بيروت، دار الفكر، 1996م**
8. **أبو شهبة، محمد بن محمد أبو شهبة، (المدخل لدراسة القرآن الكريم) ، الرياض، نشر دار اللواء، 1987م**
9. **بن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ، بيروت، دار الجيل،1405هـ**
10. **أبو زهرة، محمد أبو زهرة، (المعجزة الكبرى القرآن) ، دار طيب للنشر، 2003م**
11. **مزروعة، حاتم محمد منصور مزروعة، (دعاوى تحريف القرآن الكريم) ، طبعة جامعة الأزهر، 2007م**
12. **الباقلاني، أبو بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، (إعجاز القرآن) ، مؤسسة الكتب الثقافية، 1991م**